

تفكيك الواقع وتجليات العجائبي في رواية الرعشة للزاوي الأمين

*The Deconstruction of Reality and the manifestations of the strange in the
Amin Zaoui's novel Erraacha*

الدكتور/ الطاهر مسيلي - Dr. Tahar MESSILI

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة عبد الرحمن ميرة-بجاية (الجزائر)

Tahar.messili@univ-bejaia.dz

تاريخ الإيداع: 2025/10/10 تاريخ القبول: 2026/03/13 تاريخ النشر: 2026/03/15

ملخص:

تهدف صفحات هذا المقال إلى إظهار ما هو عجيب في رواية "الرعشة" للأمين الزاوي، من خلال تعريضها للواقع وإعادة صياغته بأسلوب تخيلي تطغى عليه الغرابة واللامعقول.

من أهم النتائج التي تمخضت عن هذه الدراسة أنّ كاتب هذه الرواية قد سلك فيها نهج التجريب والحدأة، مستعينا بما هو غير مألوف في عرض ما هو موجود فعلا، وذلك بغية الكشف عما هو خفي واستنطاق المسكوت عنه.

الكلمات المفتاحية: الواقع؛ العجائبي؛ الحدأة؛ الرعشة؛ أمين الزاوي.

Abstract:

This article aims at revealing what is strange in the Amin Zaoui's novel Erraacha, through depicting reality and reconstructing it in a style of imagination, which is full of strangeness and absurdity.

Among the results of this research, the fact that Amin Zaoui relied in his novel on experimentation and Modernity, resorting to what is unaccustomed in presenting reality, so as to reveal the hidden and the unspoken.

Key words: Reality; Fantastic; Modernity; Erraacha; Amin Zaoui.

مقدمة:

توصف الرواية العجائبية بأنها عمل أدبي «يتحرر فيه المؤلف من منطق الواقع والحقيقة في سرده، مبالغاً في افتتان خيال القراء، عبر تشكيل تخيلات لا تملك وجوداً فعلياً»¹، ويستحيل تحقيقها كونها تعمل على زعزعة الواقع وإعادة تشكيله ضمن رؤى متخيلة.

استطاع الروائيون العرب توظيف اللاواقعي في رواياتهم بأساليب مختلفة، لكن البعض منهم لجأ إلى «التلون بالعجائبي ضمن تأليفهم الروائي، وذلك لرغبتهم في التجريب والتنوع (نجيب محفوظ، الطاهر وطار، الميلودي شغموم)، فيما هناك منهم سليم بركات بامتياز اختاروا العجائبي خطاباً فنياً لرؤية العالم ورسمه بالتحويلات والمسوخ»² التي حدثت في المجتمعات العربية بفعل الأوضاع المزرية التي آلت إليها.

لم يكن حضور هذا النوع من المواضيع في الرواية العربية متجانساً، إذ إنه ارتبط «بالمخيل العربي العام والمحكي: للتعبير عن رؤية مغايرة تقدم تحولا في العلائق مع الطبيعة وما فوق الطبيعة، مع الذات الخفية ومع الآخرين، مع الواقع واللاواقع...ومثل هذا التحول على مستوى بنيات المجتمع هو الذي يبرر التحول من متخيل "سالب" إلى جنس تخييلي يسنده وعي ولغة متميزة وتيمات ستكشف المجهول وتوسع من دائرة الأدب»³ لتجعل منه عالماً أكثر فنية وتعقيداً.

سعى الروائيون الجزائريون إلى اقتحام عالم الغرائبي بغية تعرية واقع مجتمعاتهم بكل ما يحمله من سلبيات على وجه الخصوص، من بينهم "أمين الزاوي" في روايته "الرعشة".

تقوم إشكالية هذه الدراسة في الإجابة عن جملة من التساؤلات أهمها على وجه الخصوص: ما الذي جعل عنوان هذه الرواية يتسم بالغرابة؟ وكيف كانت طبيعة الشخصيات الموظفة فيها، والأدوار التي قامت بها حتى يمكن الحكم عليها بتجاوز الواقع؟ وهل كان الزمكان الفني مفارقاً للواقع؟ وماهي الأدوات المستخدمة فيه لإضفاء العجائبية عليه؟

من المفروض أن يكون نص "الرعشة" محملاً بما يتنافى مع الواقع، مثيراً للدهشة والاستغراب بأساليب وتقنيات تعتمد على الغرابة التي تعبر عن كلمة "الرعشة: بكل ما ترمز وتوحي إليه.

يكمن الهدف من وراء هذه الصفحات في الكشف عن المعتقدات والعادات والتقاليد المملوءة بالخرافات التي مازالت موجودة في مجتمعنا خاصة الريفي منه الذي يبدو وأنه لم يتخلص منها بعد.

وفيما يخص المنهجية المتبعة للإمام بحثيات هذا الموضوع فكانت بدراسة العنوان فالشخصيات ثم الزمكان الفني.

1-الوظيفة العجائبية للعنوان:

يتكون عنوان هذه الرواية من كلمة واحدة هي "الرعدة" المأخوذة من: «رعدش: الرعدش، بالتحريك، والرعداش: الرعدة... والرعدش أي ارتعد، وأرعدشه الله، وارتعدت يده إذا ارتعدت، وارتعدش رأس الشيخ إذا رجف من الكبر. والرعداش: رعدة تغتري الإنسان من داء يصيبه لا يسكن عنه... ورجل رعدش: يُرعدش في الحرب جُبنا. ورجل رعدش أي جبان»⁴. وهي تعني في هذه المدونة الخوف والصدمة من الذي انتاب ولا يزال ينتاب أبطال هذه الرواية، ويظهر ذلك في شخصية "زهرة" الذي اقترن العنوان بخوفها من مستقبلها بعد أن قررت الهروب مع مدرس اللغة الفرنسية "شواركي" ومن ثم الزواج به والتحاقها بصفوف المجاهدين.

وظهر هذا الشعور وردة فعله عندما ذهب "زهير" للمكوث بمنزل خالته بالمدينة من أجل إكمال دراسته حيث كان الخوف يسكنه بسبب ما سمعه عنها من سكان قريتها بأنها سيئة السمعة. ومما زاد خوفه أكثر تشابه صوته مع صوت والده الذي كان على علاقة مع "زهرة"، الأمر الذي جعل الوسواس يسكنه خوفا من الوقوع في الخطيئة معها.

كما اقترنت هذه الكلمة بصدمة "رحمة" أثناء احتفالها بنجاح ابنها "زهير"، إذ أنها من شدة الفرح أغعي عليها، مما استدعى تدخل النسوة بوضع المفتاح في يدها ورشها بالماء حتى تستفيق، إضافة إلى خلو "عبد الله بن ماري" بنفسه في سقيفة المنزل لاسترجاع ذكريات حبه الضائع "زهرة" الذي كثيرا ما كان يصيبه بالرعدة لعدم تحقق زواجه منها.

ولعل الصدمة الكبرى تتجلى في عزم والد "عبد الله" في الزواج من "زهرة" حتى يتمكن ابنه من رؤيتها دوما أمامه، وهذا أمر غير طبيعي إطلاقا.

وفيما يتعلق بالجانب التركيبي والنحوي لهذا العنوان المكون من كلمة واحدة والتي وردت معرفة بصيغة المفرد المؤنث، وبذلك يكون هذا العنوان جملة اسمية يمكن إعرابها كما يلي:

الرعدة: خبر مرفوع بالضممة الظاهرة على آخره لمبتدأ محذوف تقديره هذه أو هي.

وبما أن هذا العنوان قد ورد جملة اسمية فهو يفيد الثبات، أي أن حالة الخوف والدهشة من المجهول بقيت مستمرة، وهذا ما تجسد فعلا في الحاضر الذي يمثله "زهير" الذي ورث هذا الإحساس أثناء استقراره بمنزل خالته.

2-الشخصيات بين الواقعي والعجائبي:

1-2-زهرة:

تسمى "زهرة" أو "فاطمة الزهراء"، وهي الشخصية المحورية، توصف بأنها ذات جمال فتان، وهذا ما ورد على لسان ابن أختها "زهير": «لم أكن أعتقد أن خالتي في هذا العمر!! لقد فاجأني جسدها حين دخلت عليها... لم أكن أتصور أن لخالتي كل هذا القوام المرمري، كنت أعتقد دائما أن

ما يقال عنها هناك في القرية، من قبل أهل المعارف، عن جمالها كذب في كذب، إحساس كان يسكنني بأن الجميع يريد أن يربط الفضيحة بالجميل والخطيئة بالغواية...⁵، فهي بريئة من كل ما نسب لها.

عاشت هذه المرأة حياة كئيبة وأوقاتا صعبة كونها نشأت في قرية لا ترحم بكلامها المسيء لسمعتها، وهذا ما أكدته ابن أختها «سأروي ما يتناقله عنها الناس في تلك القرية، مع العلم أن أكثره كذب في كذب، وهو كلام دافعه الغيرة»⁶. وهذا طبع أهالي القرى فمعظمهم ألسنتهم سليطة على بعضهم خاصة النساء.

والجدير بالذكر أنها اتهمت بعلاقة غير شرعية مع معلم فرنسي، لذلك قررت الهجرة من القرية برفقته بعد إلحاح من والدتها بسبب عزم الأهالي على قتلها، فهربت معه لتلتحق بصوف الثوار، وبعد الاستقلال استقرت في مدينة «وهران».

تبدو «زهرة» في كلامها حكيمة، لكن الألم يسكنها بسبب قدرها الذي أخذ منها «عبد الله بن مارية» الرجل الذي أحبت في شبابه، وبسبب ما قيل ويقال عنها من طرف أهالي قريتها «حين تكلمت خالتي عن الأقدار شعرت بها كبيرة وحكيمة، متألمة أكثر مما هي حائرة...»⁷ بسبب ما راج حول علاقتها بذلك الرجل، وهذا ما ظهر في أفعالها وحركاتها وسخطها عن الكلام المسيء لها.

2-2- زهير:

سماه جده «زهير» نسبة إلى الشاعر الجاهلي الحكيم «زهير بن أبي سلى» «جدي هو الذي اختار لي الاسم، كما اختار أسماء وأبناء عمومتي فإليه ترجع سلطة تسمية جميع الذكور، كان جدي يقول:

-اخترت لك هذا الاسم من أكبر شاعر هو: «زهير بن أبي سلى»⁸» تيمنا بأن يكون مثله في الفصاحة، الحكمة والنبل.

يمثل هذا الصبي فرحة أمه الأولى كما تسميه، كونه أول أبنائها من نال شهادة البكالوريا، إضافة إلى أنه كان من الناجحين الأوائل. سافر إلى «وهران» لمزاولة دراسته الجامعية، وهناك استقر عند خالته «زهرة» التي كان يخاف منها بسبب ما سمعه عنها من سكان قريته، لكنه بعد وصوله إليها أدرك أنها بريئة، بشوشة ومرحة.

كان «زهير» شابا مثقفا جدا واسع الاطلاع على أشهر أعمال الروائيين الكبار «من يقرأ «أزهار الشر لبودلير» أو «الني لجبران» لا يمكنه أن يرتكب ذنبا، عليك اللعنة يا «دوستوفسكي»، بلحيته، كان يمكنه أن يكون إرهابيا، كتاباته عن الاغتيال والقمار تؤكد موهبة إرهابي كبير محترف»⁹. ومن جهة أخرى نجد هذا الشخص ملما بجميع أسرار والده وخالته «زهرة» أيضا.

2-3- عبد الله بن مارية:

ارتبط على علاقة عاطفية مع "زهرة"، لكن الحظ لم يسعفه في الزواج منها، فبعد الخطبة وفي يوم العرس اكتشف أن العروس التي كانت أمامه استبدلت بأختها "رحمة"، لكنه لم يستطع لا الرفض أو الاحتجاج فهذا هو الأصح عند أهل القرية فالبنت البكر تتزوج قبل الصغرى. حاول "عبد الله" النسيان لكنه لم يفلح «وكلما حاول أن يتمرن على النسيان مستعينا بكتاب عن (اليوغا)، تملكه شيطان خالتي أكثر وتمكن من قلبه»¹⁰، لأنه كان يحبها، ولم يصدق ما حدث له. وفي موضع آخر يتحدث "عبد الله" عن زواج والده، وعن حالته المدنية هو وإخوته: «لقد تزوج أبي "زهرة" على الورق وأمي في الواقع، ولا أزال حتى الآن وكل إخوتي نحمل اسم (فاطمة الزهراء)، وهو اسم خالتي الحقيقي مكان اسم أمي التي تدعى (رحمة) في كل أوراقنا الرسمية»¹¹، لتكون بذلك والدتهم التي لم تنجبهم.

يتميز هذا الرجل بهدوئه التام لدرجة عدم سماع صوته على غرار زوجته التي تحاول دائما إغاضته «لم يكلف أبي نفسه تعب الرد أو التعليق على كلام أمي...كلام جرح مملوء بالغيرة وأشياء أخرى، يهرب أبي من كلامها فيدخل صمته الشعري، يدفن رأسه في كتبه ومخطوطاته...»¹²، متحسرا على القدر الذي جمعه بها.

4-2- الجد زهير بن إسحاق:

ألف العديد من الكتب في الشعر والنحو والفقه، كما كان خطاطا بارعا وحافظا لكتاب الله ومجيدا لترتيبه. أدى الكثير من الحجات للبقاع المقدسة، كما كان مولعا كثيرا بالشعر حيث قام بترتيل بعض خمارات "أبي نواس"، الأمر الذي جعله يطلب المغفرة والصفح من خالقة. ونتيجة اعتزازه بانتمائته الحضاري للمشرق العربي قام بإنشاء شجرة لعائلته يوضح فيها نسبها للرسول ﷺ.

ومما يذكر أيضا حول هذا الشخص أن النساء كانت معجبات بسماع ترتيله للقرآن وحتى بمظهره، طريقة جلوسه، عطره وأسنانه البيضاء. ويروى أنه عندما تزوج ابنه "عبد الله بن مارية" بـ "رحمة" لم يستطع أن يزوجه مرة ثانية من "زهرة" كون هذا محرم وفق مسند القرية، فحسب تفاليدها لا يمكن أن تجتمع أختين في بيت رجل واحد.

وعلى الرغم من امتلاكه لزوجة وفيه حافظة لأسراره التي لا يعرفها أحد كشربه للخمر في فنان القهوة كي لا ينكشف أمره، والعجيب أنه قرر الزواج من "زهرة" حتى يتمكن ابنه "عبد الله" من رؤيتها أمامه، وهذا صعب تصديقه.

3-تمثلات العجائبي في بناء الزمكان الفني:

1-3-الزمن وتجليات العجائبي:

يعود زمن كتابة هذه الرواية إلى «12/12/1996»¹³، وهذا التاريخ يقودنا إلى فترة العشرية السوداء.

وإذا ما قمنا بحساب الفرق بين زمن ولادة وزمن نشر الرواية الذي هو 2005 فسنجد أنه يقدر بتسع سنوات. وجاءت أحداث الزمن في هذا النص بتواريخ واقعية مألوفة وأخرى خيالية، حيث نجد تحديدات يومية وعامة وردت لتوضيح وتفسير الزمن العجائبي الذي هو عبارة عن جمع بين المؤلف وغير المؤلف، الواقعي والخيالي، ولعل هذا المقطع الذي يتحدث عن شخصية حارس المقبرة يوضح لنا ذلك «وهو الذي حرس الموتى منذ نصف قرن وثلاثة وعشرين يوما دون عطله لم يمرض في حياته ولو ليوم واحد ولم يتغيب عن المقبرة حتى يوم عرسه، وإن الحربين الماضيتين وحتى هذه التي نعيشها هذه الأيام لم تحل بينه وبين موته، بل إن الحرب جعلته يتفطن إلى الأهمية الكبيرة لهذا العمل الذي يقوم به»¹⁴. وتظهر الغرابة هنا في أن حارس المقبرة لم ينقطع ولو يوما واحدا عن عمله طيلة خمسون سنة وبضع أيام حتى في زمن الحرب. ومثال ذلك أيضا تعبير "رحمة" بمناسبة نجاح ابنها "زهير": «تزوجت منذ ربع قرن ولكن هذا هو يوم عرسي»¹⁵. وهذا أمر غير منطقي ظاهريا، ولكنه في الواقع دلالة على شدة فرحها التي قارنتها بيوم عرسها.

إضافة إلى ذلك ما نجده في معرض حديث "زهير" عن خالته "زهرة" حول والده «تحدثت زهرة عن أبي وكأنني دفنته قبل ربع قرن»¹⁶. يلاحظ هنا استمرار الروائي في استخدام مفردة القرن، فأى زمن هذا غير الزمن العجائبي الذي يثير دهشة القارئ، كما أنه لا يمكنه أن يدفن والده وهو حديث الولادة.

وفي موضع آخر يستحضر فيه ظاهرة الإيمان بالخرافات على لسان خالته: «ها أنا أستعيد عادة حك الكف بعد أزيد من خمس وعشرين سنة، ماذا تخيئ الأيام؟»¹⁷. وهذه المدة الزمنية التي استغرقتها في استعادة حك يدها غير طبيعية، كما أن هذا الطرح يدخل ضمن الموروث الشعبي الذي يتبنى ما هو مناف للمنطق. وفي مقطع آخر نجده يصف جدته قائلاً عنها: «وجدتني التي زاد عمرها في ظرف سبعة أسابيع سبعين سنة، كانت المسكينة تبكي الليل والنهار، تتذكر الدالية وقراءة القرآن والشعر إلى ظلمها...»¹⁸. وهذا يبعث على الحيرة فكيف لشخص أن يطول عمره في ظرف سبعة أسابيع بسبعين سنة، كما أنه لم يتوقف فيها عن البكاء ليلاً ونهاراً، وهذا يحيلنا إلى المعاناة النفسية وحجم الكآبة التي تعيشها هذه الشخصية، فكل أسبوع لديها بمثابة عشر سنوات كاملة.

كما نجده يروي قصة الجسر الذي عادة ما تطفوا فوقه مياه النهر دون أن يتضرر «حينما يفيض النهر فيرتفع مستوى مائه إلى ما فوق الجسر الذي يعود إلى العهد العثماني، والذي كان

لواحد من أجدادي شرف تدشينه...»¹⁹. وهذا أمر عجيب فكيف لجسر بسيط الهندسة والبناء أن يصمد كل هذا الزمن الطويل في وجه سيلان النهر دون أن يسقط أو يهترئ.

نستنتج من كل ما سبق أن الروائي استطاع التلاعب بالزمن انطلاقاً من جمعه بين الماضي والحاضر والمستقبل، وأهم نقطة الزمن العجائبي الذي يثير فينا الدهشة، الحيرة، التردد وعدم التصديق، ومثال ذلك نسب الجد "زهير" نفسه إلى زمن الرسول ﷺ على الرغم من أنه عاش في الفترة الممتدة بين التواجد العثماني والاحتلال الفرنسي، فبين زمنه وزمن الرسول ﷺ مدة طويلة تقدر بقرون، وبذلك يمكن القول بأن هذا النص العجائبي اختلفت فيه طريقة عرض الزمن فهو نص يبدع زمنه المستقبلي عن النظام المنطقي، كما أنه يبدو مألوفاً في بداياته الأولى، لكنه سرعان ما يتغير وينحاز إلى ما هو غير طبيعي.

2-3-العجائبي بوصفه بنية مكانية:

جرت أحداث هذه الرواية في فضاءين رئيسيين غير متجانسين هما قرية "أمسیردا" ومدينة "وهران" أراد الروائي من خلالهما توثيق جزء من حياته التي تتقاطع مع حقبة تاريخية حرجة شهدت البلاد المتمثلة في فترة التسعينيات من القرن العشرين التي تميزت بالعنف، وما يؤكد ذلك إهداؤه في الصفحة الأولى من الرواية: «إلى أطفال: لينا، إلياس، هزار، الذين يجوبون معي قفار المنافي وصهد الأمكنة غير الرحيمة... في كل شاطئ، نقول: أهذه وهران؟ فتخوننا وهران في المكان...ولكنها تبقى مرفأ في القلب وفي الحرف»²⁰ رغم ما حدث فيها من أحداث، تقلبات وتغيرات.

قال "أمين الزاوي" عن قرية "أمسیردا" التي ولد فيها واحتضنت طفولته وأحلامه: «إن المكان الذي نحملة معنا في الذاكرة وفي المخيال هو ذلك المرتبط بالطفولة بسعادتها الملائكية، وبصدماتها العنيفة كالموت والحب، ولا أزال حتى اليوم حيث أكتب نصاً بالعربية أو الفرنسية ولو كان عن مكان حقيقي أو متخيل تتحرك فيه شخصية من شخصياتي الروائية إلا وأجدني مسكوناً بطيف ذلك المكان، مكان الطفولة والأحلام، مكان عمتي ميمونة وأختي ربيعة وأخي عبد الرحمن توأمي على الرغم من أننا لم نولد في ساعة واحدة ولا في سنة واحدة»²¹، فالإنسان دوماً يكون مشدوداً لمسقط رأسه.

3-1-2-وهران:

من المعروف عن مدينة "وهران" جمالها الذي يستقطب الكثير من الناس إليها، لكنها في رواية "الرعشة" تحيل على الخوف والاختناق من كثرة مبانيها وازدحام طرق شوارعها، وهذا ما ورد على لسان "زهير" في قوله: «أريد أن أهرب من جحيم هذه الشقة ومن ورم وقت خالتي، لكنني لا أعرف هذه المدينة، وليس لي فيها من ألتجئ إليه، كل ما في المدينة عنوان خالتي على ورقة، وكل ما سوى ذلك شوارع صاعدة ونازلة، حافلات، سيارات ... شعارات جديدة عن (الاشتراكية)

و(العدالة) و (اللغة العربية) مكتوبة باللغة الفرنسية...»²²، فلا شيء يبعث فيها على الراحة النفسية.

وبعد استرساله في وصف شقة خالته المخيفة، واصل عرض وضع هذه المدينة التي تبدو مربعة قائلاً عنها: «في الخارج عند قدمي هذه العمارة تبادل إطلاق الرصاص مستمر، والناس في بيوتها ساكنة كالضفادع في بيوت شتوي»²³ حتى لا تكون عرضة لرصاصة طائشة.

2-2-3- قرية أمسردا:

كان أهلها يعيشون في كنف السعادة، ويظهر ذلك في الاحتفال الذي أقيم لـ "زهير" بمناسبة حصوله على شهادة البكالوريا وفق طقوس ومعتقدات تمثل ثقافة المكان، إضافة إلى الحب المتبادل بين سكانها، خاصة حب "زهرة لـ «عبد الله» و"زهير بن إسحاق" «هي القرية كلها تحتفل، رجال كثيرون ونساء كثيرات وأطفال كالنحل وخيل وغبار، وغناء. النساء ترشفن بالملح درء للعين الخبيثة، وعلى رأسي ترمي العازبات قطع السكر قألاً لأيام ستأتي مليئة بالعسل»²⁴ لتتحول حياتهم فجأة إلى تعيسة بموت الجد "زهير" وبسيطرة الخوف عليهم جراء الإرهاب.

وينظر سكان "أمسردا" إلى المدينة على أنها: «مكان مليء بالخبز الأبيض والألبسة النظيفة الملونة»²⁵، ولكنها في حقيقة الأمر مكان مليء بالمتشردين، الأمراض والإرهاب، وسيلتهم الوحيدة في الذهاب إليها حافلة بسيطة لم يظهر عليها أي تغيير رغم مرور زمن طويل عليها.

من الأمور العجيبة في هذه القرية المقبرة التي تقع على هامشها، حيث يوجد فيها مدفين مفصولين عن بعضهما، الأول بلا جثث يحوي ضريح ولي صالح اسمه "سيدي معتوق" وقبور لواحد وثلاثين شابا كانوا ضحية للإرهاب. أما المدفن الثاني فيحوي على قبور عامرة بالجثث كقبر "ابن خلدون" الذي عاش فصلين في القرية ورحل عنها إلى "القبروان"، إضافة إلى قبر "زهرة" التي هربت من القرية.

والغريب في هذا المكان أنه إذا «بلغ المهاجر من الذكر عمر الولي الصالح، ولم يرجع إلى قريته، فله الحق أن ينام في ترابها، لذا يحفر له قبر بشاهده عليه اسمه وتاريخ خروجه من القرية، وتاريخ ردم القبر... أما المهاجرة من الإناث، فلها الحق هي الأخرى في رقدة التراب، إذا ما بلغت سن اليأس أو العجز وهو العمر الذي يتوقف فيه رحمها عن الخصب والإنجاب»²⁶. وهذا أمر لا يتقبله العقل.

وكانت هذه القرية بحكم موقعها حاضنة للمشرق والمغرب، يفد إليها الناس من كل فج عميق طلباً للعلم والمعرفة بفضل عائلة "زهير بن إسحاق"، لكنها بعد الاستقلال أصبحت مكاناً للتهريب عبر الحدود المغربية «تحول أهالي القرية جميعهم إلى مهربي بتزني لبلاد خلف الحدود، فيجلبون من ذلك البلد الحشيش والويسكي والألبسة النسائية الداخلية، كثر منهم ما توا في

مشادات مسلحة مع دوريات حرس الحدود أو الدرك الوطني أو العسكر»²⁷، كونهم ابتعدوا عن خدمة أراضيهم التي كانت مصدر رزقهم، كما أنهم لم يستطيعوا الحفاظ على إرثهم التاريخي باعتبار منطقهم منارة علمية، فكان بذلك مصيرهم الضياع.

5-خاتمة:

يدرك المتصفح لرواية "الرعشة" مدى ارتفاع درجات التعجب فيها، فهي تجذب القارئ إلى عالمها فندھشه وتحيره. إنها كما ورد في غلافها «نص في فقه الخطيئة، مؤسس داخل تقاليد الثقافة الشفوية والبربرية، فيها يشتبك العجائبي بالتاريخي في محاولة لاكتشاف وقراءة عطب المجتمع الجزائري»²⁸ الذي أصبح ينخر جسده.

يتفاوت الغرائبي ويتقاطع بين المتخيل والواقع في زمن لا يمكن للفرد أن يتحكم فيه، من هنا استعان كاتبها بما يتناقض مع الواقع لتصوير ما هو غير طبيعي في المجتمع.

يشير العنوان إلى الارتباك والخوف، وهذا فيه إحالة بأن المحيط الذي تعيش فيه الشخصيات مليء بأمور غير عادية يكتنفها الغموض والخوف من ماض وحاضر بعيدين عن الواقع تماما، وبمستقبل قد يستمر في نفس النهج.

يثير الزمن حالة من الدهشة لإمامه بفترات مختلفة ومتباعدة تصب كلها في المستقبل بطريقة لا يتقبلها العقل تسوها الخرافات، العادات والتقاليد التي يبدو أن الزمن قد تجاوزها رغم فرض استمراريتها.

تميزت هذه الرواية بتصويرها لعالم قرية "أمسیردا" الغريب، هذه الغرابة تبدأ من اسمها ثم عادات وتقاليد قاطنيتها، أولها عادة جثة الولي الصالح "سيدي معتوق" الذي «مر موته سرا... حنطت الجثة فظلت بقامتها وجلستها تتحرك... تؤدي صلوات الأعياد وتستقبل الناس في المواسم، وتشرف على كل زواج أو طلاق مع أن الطلاق نادر في هذه القرية»²⁹. وهذا الولي الصالح توفي في عمر يناهز ثلاثة وثمانين سنة، ومنه استوجبت عادة القبر العاشر أن يقام قبر فارغ مع شاهده لكل من هاجر القرية ولم يعد بعد أن يكون عمره عمر الولي الصالح، وهذه عادة عجيبة لا يمكن تفسير أسبابها سوى أنها تقليد خرافي.

تحمل شخصية "زهير بن إسحاق" والد «عبد الله بن مارية وجد زهير» تناقضا كبيرا فكيف لرجل متشبع بالقيم الدينية والداعي لها أن يشرب الخمر، وهذا الأمر لا يتقبله العقل فهو عمل محرم ومشين.

وهناك عامل آخر أسهم في ارتفاع درجة الغرائبي ألا وهو تزويج البنت الكبرى قبل الصغرى، والعجيب في كل هذا "أن عبد الله بن مارية" الذي أحب "فاطمة الزهراء" وقام بخطبتها

تم استبدالها يوم زفافه بأختها الكبرى "رحمة"، وعلى الرغم من ذلك فقد تزوج بها حفاظاً على عرف القرية.

ومن جهة أخرى نجد المفارقة العجيبة التي أصبح عليها المجتمع الجزائري الذي كان موحداً إبان الاستعمار، أما اليوم فقد استفحل فيه الإرهاب، وهذا ما لم يكن منتظراً أبداً. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى الخصومة بين أفراد العائلة الواحدة، ويظهر ذلك في سخط إخوة "عبد الله بن ماري" عليه وعلى والدهم المتوفي "زهير"، فبعد اطلاعهم على بيعه لأراضيه مقابل مجموعة من المخطوطات تركوا البيت الذي يجمعهم محملين إياه مسؤولية بيع أبيه للأراضي. يضاف إليه هذا استمرار "رحمة" المتواصل في استفزاز واحتقار شقيقتها "زهرة" حتى تسقط من عين زوجها، على الرغم من إدراكها بأن أختها قد تنازلت لها عن حب حياتها. عموماً، يمكن القول بأن رواية "الرعشة" ماهي إلا ثورة على الواقع الاجتماعي المتدني وإدانة صريحة له، وذلك بمحاولة فضح عيوبه بغية تصحيحها.

أخيراً وجب اقتراح التعمق بالبحث أكثر في عالم هذه الرواية لاكتشاف المزيد مما هو غريب فيها وما يرمي إليه. كما أوصي أيضاً بالاهتمام بالنصوص الروائية التي يشكل ما هو عجائبي موضوعاً لها، وهذا لاكتشاف ما تطرحه من أفكار ورؤى جديدة تسعى لمحاربة وتغيير كل ما هو سلب في المجتمع.

الهوامش:

¹ - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشيريس، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص (170).

² - شعيب حليفي، بنايات العجائبي في الرواية العربية، مجلة فصول، المجلد 16، ع3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (1997)، ص (113).

³ - المرجع نفسه، ص (113-114).

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، ج6، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص (304).

⁵ - أمين الزاوي، الرعشة، امرأة وسط الروح وحكاية أطراف الريح، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2005، ص (15).

⁶ - المصدر نفسه، ص (19).

⁷ - المصدر نفسه، ص (90).

⁸ - المصدر نفسه، ص (44).

⁹ - المصدر نفسه، ص (19).

¹⁰ - المصدر نفسه، ص (23).

¹¹ - المصدر نفسه، ص (23-24).

¹² - المصدر نفسه، ص (24).

- ¹³ -المصدر نفسه، ص (126).
- ¹⁴ -المصدر نفسه، ص (11-12).
- ¹⁵ -المصدر نفسه، ص (43).
- ¹⁶ -المصدر نفسه، ص (85).
- ¹⁷ -المصدر نفسه، ص (101).
- ¹⁸ -المصدر نفسه، ص (77).
- ¹⁹ -المصدر نفسه، ص (99).
- ²⁰ -المصدر نفسه، ص (5).
- ²¹ - أمين الزاوي، نعم أمسيردا أعظم وأجمل من بيكين وواشنطن، الشروق أونلاين، 2010 /12/22 تاريخ الاطلاع <https://www.echoroukonline.com> 2025/7/1
- ²² -أمين الزاوي، الرعشة، ص (32-33).
- ²³ -المصدر نفسه، ص (59).
- ²⁴ -المصدر نفسه، ص (39).
- ²⁵ -المصدر نفسه، ص (84).
- ²⁶ -المصدر نفسه، ص (8).
- ²⁷ -المصدر نفسه، ص (47).
- ²⁸ -المصدر نفسه، واجهة الغلاف في الأخير.
- ²⁹ -المصدر نفسه، ص (7-8).
- قائمة المصادر والمراجع:**
- 1-المصادر:**
- 1-الزاوي الأمين، الرعشة، امرأة وسط الروح وحكاية أطراف الريح، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2005.
- 2-المراجع:**
- 1-1-المعاجم والقواميس:**
- 1-ابن منظور، لسان العرب، ج6، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت.
- 2-سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشيريس، الدار البيضاء، ط1، 1985.
- 2-2-المجلات:**
- 1-شعيب حليفي، بنيات العجائبي في الرواية العربية، مجلة فصول، المجلد 16، ع3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (1997).
- 2-3-الأنترنت:**
- 1-الزاوي الأمين، نعم أمسيردا أعظم وأجمل من بيكين وواشنطن، الشروق أونلاين، 2010 /12/22 تاريخ الاطلاع <https://www.echoroukonline.com> 2025/7/1